

مفيدة تلاتي سيّدة المونتاج وسينما الأنثوية الحبيسة

فتيات الجيل الجديد. ومن عادتي أنني بعد الكتابة أظنن إلى أنني كتبت أشياء حصلت لي أو تعرض لها فرد من أفراد المحيط الذي أنتمي إليه. وأضافت شخصية مريم في الفيلم تشبهني كثيرا بل هي أنا وكل ما تعرضت له في الفيلم تعرضت له شخصيا في حياتي وكل ما أثر في حياتي أستعيده سينمائيا وعلاقتي بامي ساهمت في استفزاز داخلي كثيرا خاصة وأنها قبل وفاتها قد دخلت في فترة صمت دامت سبع سنوات، وهذا الصمت جعلني أتساءل عن مدى تمتعها بحقها في الحياة. ولكنني لم أظنن إلى صمتها إلا متأخرة لذلك ففيلم "صمت القصور" قمت به كي أطلب العفو من أمي.



امرأة المونتاج كرست
أفلامها لثيمات أنثوية
معتمدة على الإشباع البصري
للمشاهد عبر المراقبة
بكاميرا راصدة

على تلك الأرضية الواقعية تبنى تلاتي الأحداث وكذلك ترسم ملامح الشخصيات التي تتساوى أو تتقارب في أزماتها، لاسيما وأنها تعيش في الدوامة ذاتها، أنثوية حبيسة الآخر، السيطرة الذكورية المطلقة التي تدعمها سلطوية بالغة الشراسة والتي ذلك الواقع يتم إنعاش التعاين الطبقي الذي لم تكن الفتاة الشابة تترك أبعاده ولا تفاصيله المرتبطة بالهيمنة البطريركية.

الأنثوية الحبيسة مرة أخرى سوف تحضر وتتكامل أماما وهي تبحث لنفسها عن مدارها الخاص وبدائل تمنحها قوة للحياة والاستمرار بعيدا عن المصادرة الذكورية الصارمة. على أن تجربة مفيدة تلاتي حتى في فيلمها الآخر، "موسم الرجال"، لم تتعد تلك الأنثوية الحبيسة، ولكن في هذه المرة من خلال مقاربة مختلفة، من خلال أولئك النسوة المنتظرات قادم من حوار بين الشخصيات الأرستقراطية الخائفة على مصيرها مما هو أت. تقول تلاتي في إحدى المقابلات الصحافية معها، أنا مؤمنة جدا بسينما الذات واعتبر أن نجاح العمل الفني يتوقف أولا وبالذات على صدق صاحبه ومدى تورطه فيه. وعندما أكون بصدد كتابة فيلم تحصل لي تساؤلات في حياتي. في "صمت القصور" تعلق سؤالي بوالدتي، وفي "موسم الرجال" قادتني ابنتي إلى الإطلاع على مشاكل



واقعية بطلاتها نساء

رحلت عن عالمنا مؤخرا المخرجة التونسية مفيدة تلاتي بعد رحلة سينمائية متميزة تركت أثرها في هذا الميدان، على الرغم من قلّة منجزها على صعيد الإخراج السينمائي الذي لم يتعدّ الثلاثة أفلام، نال الحظ الأكبر من الشهرة والتناول النقدي الفيلم الأول "صمت القصور" من إنتاج سنة 1994.

وإذا اردنا التوقف عند منجز هذه السينمائية المتميزة فلا يمكن لنا إلا أن نتوقف عند تلاتي المتخصصة بالمونتاج قبل الإخراج، وهو ما انعكس جليا على المنظومة البصرية التي حرصت على التركيز عليها.

تلك الرحلة لامرأة المونتاج كانت قد نضجت على مراحل، تمثلت المرحلة الأولى إبّان دراستها وإقامتها وعملها في فرنسا، ثم كانت المرحلة الثانية والأهم وهي تقديم خلاصة خبرتها ورؤيتها في مجال المونتاج من خلال أفلام المخرجين مرموقين تعاونت معهم في مونتاج أفلامهم، ومنهم المخرجون مرزاق علوش وفيلمه الشهير "عمر قتلته الرجولة" والطيب وحيشي وفيلمه "ظل الأرض" وميشيل خليفه وفيلمه "الذاكرة الخبيثة" ومحمود بن محمود وفيلمه "عيور" وناصر خمير وفيلمه "الهامون"، وفريد بوغدير وفيلمه "حلفاوين".

امرأة المونتاج وهي تقدّم فيلمها الروائي الطويل الأول، "صمت القصور"، قبل إنها سوف تناظر بالمدرسة الفرنسية وباللحظة الجديدة وما إلى ذلك، لكن تلاتي فاجت الجمع بما هو خارج عن توقعاتهم، إنها سينما تلاتي الخاصة، فهي أولا ذهبت عميقا في البحث الواقعي واليومي، ومنهما استخرجت تلك الشخصيات التي يعصف بها الواقع وتتاكل من الداخل في ما هو يومي.

واقعية خاصة ومميّزة أمنتت اسرارة المونتاج في تكريسها من خلال الإشباع البصري للمشاهد، فهي منشغلة بالمراقبة وكاميراها راصدة، وهي غير معنية بالإشباع المتسارع والتحوّلات الدرامية الحادة، ما عدا تلك الشخصيات الذكورية التي تلاحق الأنثوية الحبيسة. والحاصل أن تراكم خبرة تلاتي في المونتاج جعلها يقظة جدا في القطع بين اللقطات والانتقال بين المشاهد، فهي تترك للعين المشبعة بما يجري لكي تنتقل إلى ما هو أت.

في "صمت القصور" يتم البناء على نثمة الأنثوية الحبيسة. القصر والحاشية الأرستقراطية في مقابل الهامش المظلل بالأنثوية الحبيسة، لكل أولئك النسوة العاملات خدما لسادة القصر هوموهن العميقة والقاسية التي سوف تشغل الجميع عن إدراك ما هو قائم في الخارج، فهناك صراع مع الفرنسيين في تونس وأواخر الخمسينات ومطلع الستينات، لكن ذلك الصراع بكل ما فيه من صخب لا يتناهى إلى النسوة إلا سماعا أو من خلال ما تعكسه تلاتي من حوار بين الشخصيات الأرستقراطية الخائفة على مصيرها مما هو أت.

تقول تلاتي في إحدى المقابلات الصحافية معها، أنا مؤمنة جدا بسينما الذات واعتبر أن نجاح العمل الفني يتوقف أولا وبالذات على صدق صاحبه ومدى تورطه فيه. وعندما أكون بصدد كتابة فيلم تحصل لي تساؤلات في حياتي. في "صمت القصور" تعلق سؤالي بوالدتي، وفي "موسم الرجال" قادتني ابنتي إلى الإطلاع على مشاكل



الطريق الطويل مكابذاته ومتاعبه كثيرة

راوي قصص أميركي يجوب القرى ويغامر بحياته

فيلم «أخبار العالم» مغامرات الطريق المثيرة لقارئ جرائد

فقد بدت شديدة الطرافة لأن الفتاة سوف ترشده إلى إمكانية استخدام طلاقات الخراطيش التي تستخدم لإصابة الطيور أو إفزاعها بعد حشوها بالنقود المعدنية، وكان ذلك الحل منقذا حقيقيا لهما.

يعيد الحنين جيفرسون لزيارة قبر زوجته الشابة التي فارقتها منذ زمن منشغلا بجلواته المعتادة بينما أصيبت هي بمرض الكوليرا الذي قتلها لنتركه وحيدا، وهو ما يسبب حنيننا جارفا باتجاه الفتاة يوهانا يدفعه إلى العودة إليها وانتسابها من البيضة التي تعيش فيها.

في المقابل هناك ما يشبه الميليشيا التي تتكرر والتي ينجو منها بأعجوبة وهو الرجل العاجز عن المكر والمخادعة، كما هو معتاد في أفلام الويسستين من أجل إنقاذ الحادة، بل إنه مخلص تماما لوظيفة راوي قصص السياسة والمجتمع، مهمت بمشاهدة الدهشة وهي تسيطر على وجوه حشد من الأميركيين والجملة الذين يرمون قطعا نقدية معدنية تبرعا لما يقدمه جيفرسون من أخبار العالم.

المغامرة وسينما الطريق سوف تقدمان لنا من خلال هذا الفيلم بنية سرية ممتدة ولا تتجسد فيها قوة درامية مضادة لجيفرسون، ما عدا تلك المواجهات الطارئة والمباغتة مع قطاع الطرق والميليشيا التي لا تخفي نزعاتها العنصرية وبهذا يكون جيفرسون المستكشف والراوي قد تغلب على شخصية الغامر أو المقاتل وهو جان آخر مخفي من شخصيته، لاسيما وأن المشاهد الأولى تظهر جسمه وقد بدت عليه آثار جروح عميقة قديمة بالتزامن مع إعلانه أنه كان عسكريا إبّان الحرب الأهلية.

ولا بد أن نشير هنا إلى أن شخصية الراوي طبعت هذا الفيلم وسيطرت على مجمل أحداثه مع أنها تعبرت في وسط تلك الصراعات الهامشية.

أقاربها، لاسيما وأنها من أقلية ألمانية تم الفلت بها.

المواجهات التي توصل الإثنان إلى حافة الموت، سوف تجذّر العلاقة بينهما ويشعر جيفرسون أن تلك الصبية ما هي إلا ضحية مجتمع عنيف ولا يرحم، وحتى أقاربها الذين سلمهم إياها ينتهي بهم الأمر معها إلى ربطها من ساقها كأي دابة، بعدما كان أوصاهم بأن يجلبوا لها القصص ويعلموها القراءة والكتابة.

الراوي والحنين

لنعد إلى سينما الطريق ومكابدات جيفرسون وكذلك قراءاته الصحافية وهو يتقلب بين أنماط اجتماعية مختلفة، حتى تصل إلى خلاصة أشار إليها بعض النقاد، أن لا جديد في هذه الدراما الفلمية ولا من جهة الممثل الكبير توم هنكس فهو لم يقدم أفضل ما عنده، كما أنه دور من الممكن أن يسند إلى ممثل آخر دون نجوميته ومستواه وخبراته.

راوي قصص السياسة والمجتمع مهمت بمشاهدة الدهشة وهي تسيطر على وجوه حشد من الأميركيين والجملة

معلوم أن هذا النوع من الأفلام يحثناج إلى مرونة الحركة والقابلية القتالية وروح المبادرة، أما جيفرسون فقد بدا مثقلا بسبب تقدمه في العمر، كما أنه ليس مقاتلا بارعا، فهو لا يحمل سلاحا أصلا في وسط مجتمع يعج بالقتلة وقطاع الطرق، إلى أن يهديه أحدهم سلاحا، وأما مواجهته مع قطاع الطرق

على مدى عقود قدمت السينما الأميركية الكثير من الأفلام التي تنتمي إلى ما يعرف بأفلام الويسستين، وهي أعمال مليئة بالمغامرات والمواجهات مع قطاع الطرق وتصور المبارزات النارية وقصص الحب والحانات والبلدات التي ينخرها العنف وغيرها من الأجواء التي باتت مألوفة للمشاهدين. لذا فإن تقديم فيلم من هذا النمط أو ما يتقاطع معه يبدو تحديا غير مضمون.

بين القرى ويتلقى المال من الناس الذين يتجمعون لسماع قصصه الغريبة، وخلال ذلك نستكشف بيئات شتى لا تغيب عنها الفوضى وقطاع الطرق والتميز العنصري والعرق، لاسيما وأن التطهير العرقي للهنود الحمر لا يزال ماثلا في الذاكرة.

أخبار العالم سوف تكشف رويد أفعال تجمعات بشرية متناقضة، لا تخفي غضبها من أي تشريع يتعلق بالمساواة العرقية أو أي يصبص أمل لمجتمع تسوده العدالة، لكن مهمة جيفرسون لا تلبث أن تتعقد دراميا يرسم خطوط سردية تكمل رحلة الاكتشاف ودراما الطريق.

مع القسم الأول من الفيلم سوف يعثر جيفرسون وهو في طريقه وسط الغابات على أناس تم شنتهم وصيبة هاربة لا تحسن الكلام بالإنجليزية، وبذلك سوف تنتقل دراميا إلى مشاركة شخصيتين وليست شخصية واحدة في مكابدات تلك الرحلة.

الطريق الطويل لا بد من مكابدات فيه ولا بد من صراع يصل حد الموت وهكذا سوف تنتقل مع جيفرسون والفتاة يوهانا (الممثلة هيلينا زينغل) إلى أول المواجهات في محاولة لعصابة قطاع الطرق بانتزاع الفتاة، لتقع مواجهة تعبدنا كما قلنا إلى أفلام الويسستين والوجوه الكالحة لقطاع الطرق والمجرمين.

يتحوّل عبء الفتاة إلى همّ وتحدّ شخصي بالنسبة إلى جيفرسون، وما عليه في الأخير إلا تسليمها إلى أحد من



طاهر علوان

كاتب عراقي

فيلم «أخبار العالم» وكأنه رحلة استكشاف ومغامرات أو نوع من سينما الطريق، تعود إلينا حاملة نكهة أفلام الويسستين التي يعلم جمهورها مجمل بنيتها الدرامية وعناصر الصراع فيها فضلا عن حبكتها الرئيسية.

والحاصل أن هذا النوع من أنواع السينما الأميركية قد كثرت موضوعاته مع تنوع شكلي محدود على القيمة الأساسية، لاسيما وأن شخصية الطبيب والشهير تحضر بقوة فضلا عن بريد إنقاذ القانون ومن هو ضده.

دراما المواجهات

في هذا الفيلم للمخرج باول غرينغراس نحن في الولايات المتحدة في عام 1870، أي بعد سنوات معدودة من الحرب الأهلية الأميركية التي راح ضحيتها أكثر من نصف مليون أميركي، ها هو النقيب السابق جيفرسون كاييل كيد (الممثل توم هنكس) يحمل حقيقته المحسوة بالصحف الصادرة إبّان تلك الحقبة، لكي يروي لأميركان أميين يقطنون الأرياف والقرى النائية مضمون الصحف من أخبار وقصص لا يعلمون عنها شيئا في بلد مترامي الأطراف. والحاصل أن جيفرسون ينتقل

لا لفيلم جديد حتى إشعار آخر

لم يكثر له إلا القليل، وإذا لم يحضر لم تفقدته إلا القلة، فتلك حالة فيها نظر. البلد الذي تعجز حكومته ووزارة الثقافة وشركات السينما عن إنتاج بضعة أفلام بعدد أصابع اليد الواحدة هو الذي نعنيه، فالحياة السينمائية معطلة حتى إشعار آخر.

كل قطاعات الحياة هي أسبقية في عُرف الكثير من حكومات العالم العربي إلا الحياة الثقافية والإنتاج السينمائي.

لا للإنتاج السينمائي.. ويتم شطب مشاريع أفلام بجزرة قلم وإلغاء مهرجانات السينما أو عرقلة إقامتها، بينما العالم يتحدث بكلام فصيح عن الدبلوماسية الناعمة للسينما التي بإمكانها أن تنتقل بسلاسة إلى أي بيت في أي بلد من العالم وهو ما تعجز عنه أية وسيلة أخرى.

السينمائية يمكن أن تصبح حياة بديلة لحياة كئيبة وبأسئة ومثقلة بالمشكلات. لكن واقع الحال أن مؤسسات إنتاجية وشركات تنتج عشرات الأفلام سنويا في بلد ما سيكون توقفها عن الإنتاج بمثابة صدمة، كمثل تخيل توقف هوليوود أو أوروبا أو بوليوود عن الإنتاج السينمائي، هل أن ذلك مستحيل؟

أما في بلاد لا تقدّم فيها السينما ولا تؤخر وإذا حضر الفيلم

هل يمكن أن تتوقف السينما؟ هل يمكن أن نخيل الحياة بلا أفلام جديدة؟

كيف يكون ذلك ولا يكاد يمرّ يوم إلا وهناك أخبار أو إعلانات عن أفلام جديدة، العالم لا يهدأ والحياة

